ومن حسن الحظ أن لدينا اليوم من الوسائل ما نستطيع به المحافظة على لغتنا فى مصر وفى سائر البلاد العربية . فانتشار المطبوعات وسهولة الانتقال من بلدان أخرى والاذاعة اللاسلكية كل هذه عوامل قوية على توحيد اللغة وتعميمها اذا نحن أحسنا استخدامها وتنظيمها

ولست أتعرض فى هذا المقال للغة الأدبية بل أترك ذلك لأدبائنا وكتابنا وانما أريد أن أشير الى بعض الصعوبات التى تصادف لغتنا اليوم كأداة للتعبير العلمى . فمن جهة لا تزال كمية التأليف العلمى فى مصر وفى الأقطار العربية ضئيلة بحيث لا يمكن بحال ما أن تعتبر ممثلة لحالة العلم فى العالم اليوم ، ومن ناحية أخرى يعوز المؤلفات العلمية الموجودة التهذيب كما يعوزها التجانس فى المصطلحات ، فكثير من المدلولات العلمية لا توجد الصيغ اللفظية لها ، وبعض المدلولات توجد لها صيغ اما ضعيفة أو غير صالحة ، كما أنه توجد فى بعض الأحايين صيغ متعددة للمدلول الواحد مما يؤدى الى نوع من الفوضى فى أدبنا العلمى يجب علينا تلافيها . والطريقة المثلى للتقدم تكون بتأليف لجان من الاخصائيين لمراجعة المؤلفات الموجودة وتهذيبها والعمل على تجانسها كما تكون بتكليف القادرين منا وتشجيعهم فرادى ومجتمعين على وضع المؤلفات فى مختلف الفروع العلمية حتى تتألف لنا ثروة من الأدب العلمى يصح أن يعتمد عليها علماء اللغة فى استخلاص المصطلحات والعبارات العلمية فى لغتنا الحديثة وتحديد معانيها ومدلولاتها بمعاونة العلماء الاخصائيين فى ذلك . ويجب أن أذكر بهذه المناسبة أن من العبث أن يحاول علماء اللغة وضع المصطلحات العلمية وضعاً قبل ورودها فى المؤلفات العلمية وشيوع استعمالها فان ذلك يكون من باب التسرع وقلب النظام الطبيعى لتطور اللغة وهو فى الغالب مجهود أكثره ضائع اذ لا يمكن التنبؤ بما اذا كان مصطلح من المصطلحات سيبقى ويدخل فى صلب اللغة أو سيموت ويحل غيره محله .

بقيت نقطة اريد ان اتعرض لها وهى العلاقة بين المصطلحات العربية ومصطلحات اللغات الحية الأخرى . فمن رأيى انه من الجائز استعمال مصطلح اجنبى فى لغتنا — بعد تحويره ليتفق مع ذوق اللغة واوزانها — بشروط ان يكون هذا اللفظ مستعملا فى جميع اللغات العلمية الأخرى او فى معظمها . ومثل هذه الالفاظ تكون فى الغالب مشتقة من أصل اغريقى او لاتينى لا جناح علينا نحن اذا اشتققنا منه كما اشتق غيرنا . اما الألفاظ الأجنبية المقصورة على لغة واحدة او لغتين فرأيى ان يكون له عندنا لفظ عربى مرتبط بأدبنا وتفكيرنا .

ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل فليس المراد من هذا المقال ان أدخل القارىء فى مسائل فنية هو فى غنى عن بحثها وانما ارجو اكون اثرت من نفسه الاهتمام بهذا الموضوع الذى هو من اهم المواضيع المرتبطة بحياتنا وتقدمنا .

على مصطفى مشرفة

رسالة الاديب فى مصر

بقلم الأديب عبد الحميد يونس

وقف الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل وقفة طويلة فى كتابه «الأبطال» عند البطل فى صورة الأديب وعرفه بأنه «الرجل الذى يردد لنا نغمه الملهمة ، وأقول الملهمة لأن مانسميه بالعبقرية أو الصدق أو الموهبة أو صفة البطولة التى لا نجد لها اسما خليقاً بها تدل على أن الأديب هو الذى يعيش فى أعماق الأشياء ؛ فى الحقيق فى الالهى ؛ فى الخالد الذى يوجد أبداً والذى لا تراه الدهماء ، لأنه يختفى وراء الوائل الحقير دائماً أبداً . الأديب هو الذى يذيع هذا الحق للناس بالقول او بالعمل ؛ وحياته اذن قطعة من قلب الطبيعة الذى لا يعتوره الفناء» ثم استعان بآراء الفيلسوف الألمانى (نتشه) الذى اذاع سلسلة محاضرات فى موضوع «طبيعة الرجل الأديب» قال فيها ان كل الأعمال التى يعملها الناس والأشياء التى تقع عليها ابصارهم فى هذه الدنيا ليست الا ثوباً او مظهراً احساسياً يجثم وراءها ما أسماه « فكرة العالم الالهية » وهى «الحقيقة التى توجد فى اعماق المظاهر جميعاً » وهى بالطبع لا تظهر لعامة الناس لأنهم يعيشون بين المظاهر والماديات . فرسالة الأديب أن يميز لنفسه وللناس هذه الفكرة الالهية بما فيها من روعة وجمال وقوة وان يقف الى جانبها معجبا متعجباً ؛ وان يذيعها فى الناس حتى يكونوا انعم بحياتهم واقدر على فهم وجودهم . عليه ان يسمو بهم فوق رغبات العيش المادى من طعام وشراب وكساء وان يحررهم — ولو الى حد ما — من قيود الزمان والمكان .

وأظنك تستطيع ان تتخذ هذا التعريف مقياساً توازن به بين الأدب الحى والأدب الميت . فكما يوجد فى هذا العالم اطباء ودجالون يدعون الطب كذلك يوجد أدباء وادعياء يدعون الأدب . واذا كنت تحرص الحرص كله على التميز بين النقد الصحيحة ، النقد

الزائفة وهي التي تحصل بها على اغراضك المادية فالأجدر بك ان تكون أكثر حرصاً على التمييز بين الآثار الأدبية الصالحة والآثار الأدبية الزائفة وهي التي تحصل بها على أغراضك الروحية

والأديب يولد ولا يصنع - كما يقول الانجليز - أي أنه رجل لا يكتسب صنعة الأديب بالتعلم والمران مالم يكن موهوباً بطبيعته. بيد أن هذه الموهبة كالشجرة مالم تثقف وتشذب فلن تؤتي أكلها لذيذاً شهياً . . .

نخرج من هذا بأن الأديب في مصر هو الأديب في غير مصر وأن رسالته هنا هي بعينها رسالته هناك وكل مافي الأمر اختلاف طرائق التعبير . على أن مهمة أديبنا أشق من مهمة الأديب الغربي لأن الغربيين يعرفون لأديبهم قدره فيبسطون له في الرزق حتى ينصرف الى الانتاج الأدبي الصالح بينما ينكر المصريون أديبهم ويضيقون عليه الخناق ومع ان اعترفوا له بشيء فانما يكون هذا الاعتراف بعد أن يفارق هذه الدنيا. ولهذا دون شك أثره البالغ في خلق الأديب فهو اما أن يتزلف الى السلطات الحاكمة أو يترضى الأمراء والزعماء فاذا لم يستطع هذا أو ذاك أخذ يتملق الجمهور ! ولا تبغي بالمبالغة فأمامك تاريخنا الأدبي الحديث فهو حافل بأسماء الأدباء - وأشباه الأدباء - الذين كانوا أقرب الى المتسولين منهم الى أي شيء آخر . والذين انحطوا بصناعة الشعر والنثر الى الدرك الأسفل حتى أصبح الأدب نوعاً من «البهلوانية» في التعبير فاذا ألحت عليهم الحقيقة اتخذوا في اذاعتها فنون اللف والدوران والمواربة ! وما أقل أولئك الذين عافت نفوسهم التمسح بأذيال السادة او التملق بأردان الجماهير ! والأديب - بل وشبه الأديب معذور لأن الجماعة لا تريد الا من يسليها ويدخل السرور عليها اما الذي يكشف لها عن المثل العليا ويظهرها على الفرق بين حاضرها وهذه المثل فهو مبغض الناس اليها !

والأديب المصري الذي يريد أن يؤدي رسالته على الوجه الأكمل يصطدم بعقبتين كلتاهما صعبة شديدة . فما بالك اذا علمت أنهما متآخيتان ، هاتان العقبتان هما « السياسة والتقاليد »

اما السياسة فقد طغت علينا وأفسدت مزاجنا الأدبي حتى اضطربت موازين النقد في ايدي الكتاب ورجال التعليم يجورون في احكامهم على الأدباء جوراً ظاهراً ، والطلاب والقراء في حيرة ليس مثلها حيرة . واسرفت السياسة في طغيانها واشتدت جنايتها على الأدب حتى انصرف الأدباء الى السياسة وادركوا أن الشهرة الأدبية لن تأتيهم الا على حساب الشهرة السياسية !

والتقاليد امرها غريب حقاً فهي من محاربتها للادب والأدباء تستتر وراء الدين حيناً ووراء السياسة حيناً آخر. تظهر مرة وتختفي مرات . وويل للاديب الذي يتهم بالالحاد . وويل للاديب الذي يتهم بالخيانة . وويل للاديب الذي يتهم بالاباحية ! لو كان موظفاً طرد من وظيفته . ولو كان عالماً جرد من شهادته . ولو كان كاتباً حورب في صحيفته !

على ان الأديب القوي هو الذي يصمد لهذا كله ويمضي في اذاعة رسالته مؤمناً بانتصاره . أو قل . بانتصار آثاره تدفعه الفكرة الالهية التي فيه . فاذا اعترف له ابناء عصره بفضله عليهم وعلى الأجيال المقبلة من بعدهم فذاك . والا فقد كتب اسمه في ثبت الخالدين . . .

وأدباء مصر في هذا الزمن هم «الطلائع» التي تتعرض للاخطار وتتلقى عن بقية الجيش السهام تتلوها السهام ! والطلقات تعقبها الطلقات . فعليهم أن يضربوا المثل الصالح لأبناء الجيل الجديد

واني لأعلم أن مهمة الأديب المصري في الجيل المقبل ستكون أسهل من مهمة اخيه في هذا الجيل لأن الأخير عليه الى جانب مهمته الأساسية مهمة اخرى هي « التمهيد » وتمهيد طرائق التعبير من نحت الفاظ . واصلاح الفاظ . ومن خلق قوالب ادبية لم يكن لها في تقاليد الأدب العربي وجود كالدرامة والشعر القصصي والمقال الاجتماعي وما يتطلبه هذا كله من التغيير في قواعد النظم والكتابة .

* * *

وليذكر اولئك الذين يغرمون بتأليف المجامع اللغوية ان اصلاح اللغة لا يقوم به النحاة والعروضيون واصحاب الابحاث «الفيلولوجية» وانما يقوم به الأدباء والأدباء وحدهم لأنهم بطبيعة رسالتهم اقدر على ابتكار الألفاظ التي تتلاءم مع المعاني والأساليب التي تتفق والأغراض . ثم هم اقدر على اذاعة هذه الأساليب وتلك الألفاظ في الناس . ثم يأتي بعدهم اصحاب النحو والعروض وعلوم اللسان يستخرجون من آثارهم القواعد العامة ويرتبونها ويصنفونها ويضعون المطولات والقواميس فيها !

فليمض الأدباء المصريون - وهم قلة - في تحقيق الرسالة السامية التي وجدوا من اجلها والتي يعيشون لها . والتي يجب ان يموتوا في سبيلها كما يموت كل صاحب رسالة يؤمن برسالته وليكن عزاءهم خلود آثارهم ! وآخر ما الناس ان يقدروا الأديب الذي لا يعيش لنفسه وانما يعيش لهم ! . .

عبد الحميد يونس